للحبّ كفّة واحدة

للحبّ كفّة واحدة

محمد القاسم

تمَّ هذا العملُ بوصفِهِ نصّاً تجريبيّاً،

لا يلتزمُ شكلاً نهائيّاً ،

ولا يدّعي اكتمالَ الرؤية .

ملاحظة للبداية ..

عدنانُ شخصيةٌ وهميّة،

أقحَمَها الكاتبُ في قلبِ النصّ،

ليسَ ليحكي حكايتَه،

بل ليختبر عبره فكرةً يصعب قولُها بصيغةٍ مباشرة.

ماهو الحبّ ؟

تتجلّى نظرةُ عدنانَ للحبِّ على أنّه صفقةٌ خاسرةٌ يستمتعُ عاقدُها

بالخسارةِ. وعادةً ما تكونُ الصفقةُ بين مشترٍ وبائعٍ، فلا

يمكنُ أن تتمَّ بين بائعٍ وبائعٍ، ولا بين مشترٍ ومشترٍ.

يقصدُ عدنانَ في ذلك أنّه في العلاقةِ العاطفيةِ لا يمكنُ أن

يكونَ الحبُّ والإقبالُ من الطرفينِ معاً ، دائماً هناكَ شخصٌ

يسعى ويفني قدميهِ في طريقٍ قد يبدو مسدوداً منذُ بدايتِه،

لكنه ينخرطُ فيه ولا يريدُ إلا الوصولَ.

وبالمقابلِ، هناكَ من يُسعى إليهِ دونَ أن يقومَ بأيِّ مقابلٍ.

وفي النهايةِ، تُعقدُ الصفقةُ على حسابِ الساعي، لكن بطلبِه.

هو من يريدُ أن يبيعَ قلبَه، وربمّا شخصَهُ بالكاملِ، بأرخصِ

ثمنٍ.

ولا ينتهي الأمرُ هنا، فلتلكَ الصفقةِ أثرٌ لا يظهرُ في بدايتِها ،

بل يتأخرُ حتى تفنى البضاعةُ (القلبُ والنفسُ). حينها يكونُ

البائعُ عاجزاً عن استردادِها كما كانتْ، وهنا يبدأُ الندمُ.

لذلكَ، عليكَ أن تعلمَ قبلَ أن تضحيَ بقلبِك: هل أنتَ قادرٌ

على العيشِ بدونِه بعدَ أن يفنى فداءً ؟ أم أنّك ستحاولُ

الرجوعَ في وقتٍ لا يمكنُ فيهِ الرجوعُ؟

قد يبدو الأمرُ غبيّاً حين نفسّرهُ من زاويةٍ عقليّةٍ تحليليّةٍ،

لكن ما إن نراهُ بعينِ العاطفةِ حتى يصبحَ من أنبلِ ما قد

يحدثُ في الحياةِ.

هذا حالُ الحبّ .. أما نحن :

فبعضُنا يرى أنّه الأحقُّ ببضاعتِه، فلا يخرطُ نفسَهُ في الحبِّ

ويتحفّظ بنفسه مسالماً ، وبعضُنا يضحي بنفسِه ويُقدم ، لأنّه

يهوى أنْ يرى نفسَهُ تفنى ليسمو محبوبُه ،

أمّا الصنفُ الأخطرُ بيننا، فهو من تغلى عليهِ بضاعتهُ، لكنه

يدخلُ حرمَ الحبِّ، فتحدثُ الأمورُ وكأنّها عمليةُ نصبٍ

ممنهجةٍ.

فهو كما لو كانَ بائعاً وهمياً، يبدأُ العلاقةَ بوعدٍ كاملٍ،

ويقولُ:

«أنا كلّي لكَ... أنا»،

مختبئاً خلفَ كلماتٍ مغنّاةٍ، ليسَ خلفَ نيّةٍ حقيقيةٍ.

وحين يتعلّقُ الطرفُ الآخرُ، ينكشفُ الوعدُ، ويظهرُ العقدُ

كاذباً ، فهو لم يبعْ قلبَهُ، بل أمسكَ بهِ كما يُمسكُ بالحبلِ

بالأصابعِ العَشر .

ولا يتوقفُ الأمرُ هنا، بل ينقلبُ الاتجاهُ، فيُطالبُ المحبوبَ

أن يتنازلَ هو كي تستمرَّ العلاقةُ.

وإن كنتَ تتساءلُ ما الذي يُجبرُ الطرفَ الآخرَ على

الاستمرارِ بعدَ انكشافِ الوهمِ، فالجوابُ بسيطٌ...

إنّها " المشاعرُ "

فالحبُّ ليسَ صفقةً تجاريةً يُلغى عقدُها بتوقيعٍ ، هنا يتدخلُ

الفؤادُ، ومتى حضرَ الفؤادُ حضرَ التعلّقُ، والتمسكُ،

والتكريسُ، ثم المرضُ.

لذلكَ يرى عدنانَ أنّ الدراسة السويّة للعلاقة يجبُ أن

تحدثَ في مرحلةِ الإعجابِ، قبلَ الاندفاعِ.

ستدخلُ الحبَّ؟

إذن ستُفني نفسَك لتعلو كفّةُ شريكِك، تماماً كميزانٍ لا

يستقيمُ إلا بسقوطِ أحدِ طرفيهِ.

لستَ قادراً على ذلكَ؟

إذن احتفظْ بمشاعرِك، وأبقِها لديكَ.

فالحبُّ يحتاجُ تضحيةً ونبلاً في تنفيذِها ، وأراهُ رغمَ الفناءِ

التامِّ لأحدِ الطرفينِ أنبلَ ما في الوجودِ. إنّهُ يندرجُ تحتَ

كلمةٍ واحدةٍ:

" الإخلاص "

فإن لم تكنْ كفؤاً لهُ،

لا تقتربْ.

لن يلومَك أحدٌ.

هذه كانت نظرةَ عدنانَ للحبّ،

محاولةٌ لوصفهِ من زاويةٍ واحدة

فقط .

يمكنك مشاركةُ قراءتك وتعليقك حولَ العمل

عبرَ قناة **Logic_first_** على إنستغرام.